البحث الثانى

الأخوة الإنسانية

بين التصور الإسلامي وعلوم الأعصاب

" مدخل ارتقائي لتطوير منظومة التعليم بمملكة البحرين "

إعداد

الأستاذ الدكتور

عبداللطيف عبدالقادر على أبوبكر

أستاذ تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية البحرين للمعلمين - جامعة البحرين

الأخوة الإنسانية

بين التصور الإسلامي وعلوم الأعصاب

" مدخل ارتقائي لتطوير منظومة التعليم في مملكة البحرين "

ملخص الدراسة :

استهدفت هذه الدراسة بيان حقيقة التصور الإسلامي للألوهية والكون والحياة والإنسان ، وعلاقة الإنسان بتلك الحقائق ، ومكانته منها ، ومن ثم موقع الأخوة الإنسانية فيها ، ثم تبرز الدراسة إفرازات العلم ومعطياته المتعلقة بعلوم الأعصاب ، وتأكيد العلم أن وعي الإنسان بالأخوة الإنسانية وتعاطفه مع أخيه الإنسان ، وحاجته لاستشعار ذلك التعاطف ، وتحقيق تلك الأخوة حقيقة تسطع بجلاء من خلال النصوص الشرعية من جانب ، ومن خلال نتائج أبحاث الدماغ وعلوم الأعصاب من جانب آخر

وفي سبيل معالجة مشكلة الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم برصد الظاهرة ، وتحليلها ودراستها من زواياها الممكنة .

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها ما يأتي :

- إن الانتماء للأسرة الإنسانية من خلال مساحات التقاء ونقاط تماس بين بني البشر جميعا كفيل بأن يمثل أرضية مشتركة للتعايش والتراحم والتعاون من خلال رحم الإنسانية التي ننتمى إليها جميعا .
- إننا رغم ما بيننا من أخوة إنسانية ، فلا يعنى هذا أن يتنازل أحد عن قناعاته الفكرية ، وأنساقه القيمية ، وأطره المرجعية التي يؤمن بها ويعيش عليها .
- إن الاختلاف بين البشر سنة كونية وضرورة بشرية وحاجة اجتماعية ، اقتضتها حكمة الخالق – سبحانه – وهى لا تعكس التعارض والتضاد بين البشر بقدر ما تعكس حالة التنوع والثراء .
- إن تأكيد العلاقة بين الأخوة الإنسانية وعلاقتها بعلوم الأعصاب يمثل مدخلا مهما لمنظومة التعليم بمملكة البحرين، كفيلا بتحقيق التعايش السلمي بين البشر.

الكلمات المفتاحية: الأخوة الإنسانية – التصور الإسلامي – علوم الأعصاب.

Abstract

The Human Brotherhood between the Islamic Concept and Neurosciences

(An Upgrading Approach for Developing the Education System in the Kingdom of Bahrain " as a model ")

This study aims to explore the Islamic Concept of the divinity, universe, life, man , and it's relation with those facts, as well as his point of view towards the humanity and the effective method by which it might be realized , and how to make it available to every one

This study highlights the science results and it's data related to humans science and confirms that the man awareness and his sympathy and continuos quest to adopt and achieve this humanity is clearly shown in the legal texts on the one hand, and through the results of brain and Neurosciences research on the other.

In this study, the researcher used the descriptive analytical method to monitor this phenomenon, and to obtain the results which are follows:

- According to our relation , all human beings have been created by one and the same God, for this reason ,our belong to one family and as well our keen to form a nucleus of universal brotherhood through understanding , cooperation, unity, facilitate dialogue , civilized communication , nearness are the real way for making the world peace and harmony.

-Despite our believe that the Human Brotherhood is the main key to world peace and security heard, that doesn't mean giving up our faith, concepts, moral values, principles, scientific consistency and the main rules and ethics.

-The difference between the Human beings is a part of nature and social necessity and God created us diversified in our cultures, colors, races, religious and others, it doesn't mean reflect contradiction and opposition but rather diversity and richness.

For a safe life, we need to enact the legislation to criminalize all methods and practices of hatred, racism, marginalization and exclusion as a crime against humanity and the homeland.

- The relationship between the Human Brotherhood and Neurosciences represents the main key for developing the education system and world peace

Keywords: human brotherhood - Islamic perception - neurosciences.

مقدمة

لما كانت الحروب تبدأ في أذهان الناس ، ففي أذهان الناس لابد أن تقوم دعائم السلام (Unesco , 2004) بهذه العبارة بدأت منظمة اليونسكو توصياتها الخاصة بالتربية من أجل التفاهم الدولي ، القائم علي احترام حقوق الإنسان و حرياته ، وهي عبارة دارت بخلدى وأنا أعد هذه الدراسة الخاصة بالأخوة الإنسانية ، وأنا أسائل المعنيين بدائرة التعايش بين البشر : ارجع البصر كرتين في كثير من المحاولات السابقة الرامية إلى تحقيق فكرة الأخوة الإنسانية والتعايش في واقع البشر ، على الرغم مما بينهم من اختلافات ، فإذا رأيت ثم رأيت أن تلك المحاولات قد فرغت من مضمونها ، وألقت ما فيها وتخلت ، فاعلم يقينا أننا لابد أن نعيد النظر فيما تم طرحه ، والبحث عن إطار جامع . إننا نجابه بقائمة من المشكلات التي تتطلب حلولا ، ومن المستبعد أن تحل تلك المشكلات بنفس طريقة التفكير التي أوجدتها ؛ إذ الغباء – كما يقول أينشتين – أن تسير في الطريق نفسه وتتوقع أن تصل إلى مكان آخر ، أو تتبع نفس الخطوات وتنتظر أن تكون النتيجة مغايرة

بدا لي – ونحن نبحث عن مساحات الالتقاء ، ونقاط التماس ، وأرضية مشتركة – أننا بحاجة إلى إطار مرجعي جامع ، ونموذج معرفي شامل (بارادايم) يمثل قناعة فكرية لدى الجميع ، ويساعد على القفز فوق الأسوار الحاجزة ، وتجاوز الحدود المصطنعة ، ويرتبط بكبريات القضايا التي تحكم نظرة الإنسان ورؤيته وحركته في هذه الحياة ، وهى قضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان .

وتعد مملكة البحرين من الدول الرائدة في تأكيد ثقافة التعايش السلمى والأخوة الإنسانية بين البشر ؛ فقد أصدر صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين في عام ٢٠١٨ أمرا ملكيا بإنشاء مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي ، ونتيجة للجهود المبذولة التي يضطلع بها المركز ، فقد حظي بتقدير كثير من المؤسسات الدولية ؛ وذلك لدوره في تعزيز التعايش السلمي والتكريس لثقافة الحوار الحضاري بين الأديان والثقافات المختلة ، وإشاعة قيم السلام والمحبة ، والاعتراف بالآخر .

وترجمة لدور مركز الملك حمد للتعايش السلمي ، وما انبثق عنه من إنشاء برنامج كرسي الملك حمد للحوار بين الأديان والتعايش السلمي في جامعة سابينزا الإيطالية لتأهيلهم وتخريجهم في تخصصات التعايش والتسامح والحوار بين الأديان. وضرورة إنشاء مراكز دراسات وتدريب ومؤسسات بحثية تعنى بتعزيز مفاهيم التعايش السلمي والتسامح الديني بين الناشئة، ودعم تعاون رؤساء مؤسسات التعليم العالمي ومن يمثلون مختلف الأديان ؛ بما يضمن تحقيق الهدف الأسمى من القيم الإنسانية النبيلة في نشر السلام والوئام والأمن والاستقرار بين دول وشعوب ومجتمعات العالم ، وتخصيص مقررات للتسامح والتعايش السلمي في الجامعات والمعاهد، فقد سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تقديم تصور ارتقائي مقترح لتطوير مفردات منظومة التعليم في مملكة البحرين تعزز فكرة التعايش السلمي ، والأخوة الإنسانية ، وتأكيد فكرة الحوار الحضاري بين مختلف الإثنيات والأعراق والأديان ، استنادا إلى منحى تكاملي يربط مقومات التصور الإسلامي بمعطيات العلم المتصلة بعلوم الأعصاب ونتائج أبحاث الدماغ

مشكلة الدراسة : تتمثل مشكلة الدراسة في الحاجة الماسة لتجلية موقف التصور الإسلامي من علاقة الإنسان المسلم بأخيه الإنسان ، وإزالة اللبس واللغط عن تلك العلاقة ، في وقت يشكك البعض في وجود تلك الأخوة ، وإقرار الإسلام بها ، وتأكيده لها بصرف النظر عن اختلاف المعتقد أو الجنس أو اللون ، وهو ما جاءت به النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في غير موضع توضح ذلك

فقد أثبتت النصوص القرآنية الأخوة بين الأنبياء والرّسل وبين أقوامهم وإن خالفوهم في الدين ، أو كذّبوهم وتآمَروا على عداوتهم؛ من ذلك قوله تعالى: « كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ »(الشعراء ١٠٥ – ١٠٦)"، « كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ... » (الشعراء : ١٢٣ – ١٢٤)، « كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ » (الشعراء : ١٤٠ – ١٤١) ، « كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ» (الشعراء ١٦٠ –١٦١)، «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا»(هود : ٨٤) والحق أن كلَّ هؤلاء الأقوام كذَّبوا رسلهم وكفروا بهم، ومع هذا أثبت القرآن اسم الأخوة للرّابطة القومية الّتي تربطهم برسلهم

تأكيد خلق جميع البشر من مادة واحدة : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ » (المؤمنون : ١٢)

تأكيد تكريم الإنسان : إذ كرم الإسلام الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات والموجودات، حيث قال الله تعالى: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا »(الإسراء :٧٠)

أفضى الإيمان بالتآخي الإنساني إلى القول بتحريم قتل النفس الإنسانية ما لم ترتكب إثما يقتضى القصاص: ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بقول الله تعالى: « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا » (المائدة :٣٢)

تأكيد الأخوة الإنسانية والبنوة لأدم من خلال قوله ﷺ : «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ». (مسند الإمام أحمد)

كما ورد في دعاء النّبيّ ﷺ: "... وأشهد أنّ العباد كلّهم إخوة " ، " فأثبت أخوة في الدّائرة الإنسانية الكبرى، ولا تكون هذه الأخوة إلّا أخوة الإنسانية". وهى ما تقتضي اهتمامًا متبادلًا بين أفرادها، من التّضامن والتّعاون والتّراحم والإحسان، وغير ذلك من القيم السّامية الّتي تنبع من فطرة العطف على بني الجنس كلّه، والإسلام الّذي حدّد الغاية القصوى من رسالته بإتمام مكارم الأخلاق، يستوعب هذه القيم ضمن كلياته ومرتكزاته التّشريعية " (عبدالحكيم قماز ، ٢٠٢٠)

وفطرة العطف بين بني البشر جميعا هي ما جاءت الفتوحات العلمية في بحوث الدماغ وعلوم الأعصاب لتؤكدها بين البشر جميعا فيما أسفرت عنه البحوث من اكتشاف ما عرف بخلايا التعاطف أو خلايا المرآة

والخلاصة في ذلك تتمثل في إمكانية تجلية تلك الحقائق ، والإفادة منها كمدخل تربوي قائم على أسس شرعية وحقائق علمية لتطوير منظومة التعليم بمملكة البحرين ؛ بما يسهم في تحقيق توجه مملكة البحرين صوب التعايش السلمي والأخوة الإنسانية وحوار الحضارات بين مختلف الإثنيات والأعراق والأديان ، والسعي الحثيث نحو مد الجسور لا إقامة السدود ، وهو ما يتسق مع رسالة مركز الملك حمد للتعايش السلمي ومهامه الكبرى ، وما أنجزه من ندوات ودراسات وملتقيات ومؤتمرات علمية ، كان من أهمها مؤتمر التعليم يعزز التعايش السلمي تحت شعار "الجهل عدو السلام" في مركز الشيخ عيسى الثقافي والذي ينظمه مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي لأول مرة في المملكة خلال الفترة من ٧ إلى ٨ ديسمبر ٢٠٢١ بمشاركة دولية واسعة من كبرى مؤسسات التعليم العالي على مستوى المنطقة والعالم.

أهداف المؤتمر الخروج بمرئيات أساسها إقرار وحدة الأصل الإنساني واحترام الاختلافات البشرية من فكر ومعتقد ومذهب وعرق ، والإيمان بأنه لا ضير من التعايش بسلام ووئام مع تلك الاختلافات، مع الارتكاز على مبادئ احترام الإنسانية والحريات الدينية والتعارف بين الشعوب مع دراسة ومعرفة ماهية الحضارات والأمم البشرية والاطلاع على مختلف الثقافات والأعراف لدى شعوب الأرض ، والتأكيد على ضرورة تضمين القيم الإنسانية النبيلة كالتسامح الديني والتعايش السلمي وتقبل الآخر المختلف ضمن مناهج الجامعات ومؤسسات التعليم العالي حول العالم.

يتماهى هذا التوجه أيضا مع المنطلقات الأربعة التي أوصت بها اليونسكو المبينة في تقرير ديلور (التعلم من أجل أن تعرف، والتعلم من أجل أن تفعل، والتعلم من أجل أن تكون والتعلم من أجل العيش المشترك) (اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، *التعلم: ذلك الكنز المكنون* (باريس، اليونسكو، ١٩٩٦)

أسئلة الدراسة :

تجيب الدراسة الحالية عن الأسئلة الآتية :

١ – ما مقومات التصور الإسلامي التي تؤكد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

٢ – ما مفاهيم علوم الأعصاب التي تعضد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

٣ – كيف يمكن الاستفادة من الربط والتكامل بين مقومات التصور الإسلامي ونتائج بحوث علم الأعصاب في تأكيد الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشرفي مناهج التعليم بمملكة البحرين ؟

أهداف الدراسة :

- بيان حقيقة التصور الإسلامي للألوهية والكون والحياة والإنسان ، وعلاقة الإنسان بتلك الحقائق ، ومكانته منها ، ومن ثم موقع الأخوة الإنسانية فيها .
- تبرز الدراسة إفرازات العلم ومعطياته المتعلقة بعلوم الأعصاب ، وتأكيد العلم أن وعي الإنسان بالأخوة الإنسانية وتعاطفه مع أخيه الإنسان ، وحاجته لاستشعار ذلك التعاطف ، وتحقيق تلك الأخوة حقيقة تسطع بجلاء من خلال النصوص الشرعية من جانب ، ومن خلال نتائج أبحاث الدماغ وعلوم الأعصاب من جانب آخر
- الإفادة من هذا المدخل الارتقائي الذي يتكامل من خلاله التصور الإسلامي وعلوم الأعصاب لتطوير منظومة التعليم في مملكة البحرين .

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة الحالية فيما يأتى :

- تأتى استجابة لوثيقة الأخوة الإنسانية التي صدرت عن أكبر مؤسستين دينيتين في العالم (الأزهر الشريف والفاتيكان) وممثلة بأكبر شخصيتين في العالم الإسلامي والمسيحي ، فضيلة شيخ الأزهر ، وبابا الفاتيكان

- تأتى الدراسة تدعيما لقيمة عظمى في وقت باتت البشرية فيه أحوج ما تكون إلى استدعاء قيم الأخوة والسلام والتراحم والتعايش السلمى .

- تمثل قيمة فكرية داعمة تستمد قوتها من رؤية الإسلام وحقائقه الكبرى للكون والإنسان والحياة ، إضافة لما أفرزته علوم الأعصاب من نتائج مهمة تؤكد أن مشاعر التعاطف مدمجة في الخلايا العصبية بين بنى البشر .

المنهج المستخدم : وفي سبيل معالجة مشكلة الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم برصد الظاهرة ، وتحليلها ودراستها من زواياها الممكنة

إجراءات الدراسة :

تمثلت إجراءات الدراسة فيما يأتي :

أولا: للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة والذي ينص على :

- ما مقومات التصور الإسلامي التي تؤكد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

يتم تحديد أهم مقومات التصور الإسلامي والمتمثلة في حقائق الوجود الكبرى وهي : الألوهية والكون والإنسان والحياة ، مع التركيزعلى حقيقة الإنسان ، وهي تقع في لقلب من تلك الحقائق ، الإنسان من حيث مركزه في الكون ، ووظيفته في الحياة ، وحدود اختصاصاته ، ودائرة سلطاته .

ثانيا : للإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة والذي ينص على :

- ما مفاهيم علوم الأعصاب التي تعضد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

يتم تحديد أهم مفاهيم علوم الأعصاب ونتائج أبحاث الدماغ التي تؤكد وتؤسس للأخوة الإنسانية والتعايش بين البشر .

ثالثا : للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة والذي ينص على :

- كيف يمكن الاستفادة من الربط والتكامل بين مقومات التصور الإسلامي ونتائج بحوث علم الأعصاب في تأكيد الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر؟

وهنا يتم عرض مساحات الالتقاء ونقاط التماس والأرضية المشتركة التي تربط بين حقيقة الأخوة الإنسانية في التصور الإسلامي وعلوم الاعصاب وتؤكد حالة التواشج بينهما

الاختلاف ضرورة :

" أختلف معك ، لكني أحبك " ، عنوان رائع لأحد الأدبيات المهمة يتماهى مع فكرة أن " الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية " . إن هذا الاختلاف - بطبيعته – اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد .. إنه تخصيب للحوار وتنويع للأفكار ، فمن تصادم الأفكار تبرق الحقيقة ، بل نحن على يقين أنه : إذا اختلف عاقلان وجد كل في صاحبه ما ينفعه ، بل إن الأكثر من هذا أننا لا نتخيل الحياة بدون وجود هؤلاء الذين نختلف معهم ، على حد قول القائل : إنني أشعر بوحدة هائلة ، لقد مات كل الذين أختلف معهم .

أزمة الاتفاق وتطابق وجهات النظر :

نعم ليس كل اتفاق في وجهات النظر يثير أزمة ، لكننا في كثير من الأحيان نجد أن الحاجة ماسة ، والضرورة ملحة لتعدد وجهات النظر، وتنويع الآراء حول بعض القضايا .

ولنستمع إلى " الفريد سلون " رئيس مجلس إدارة شركة جنرال موتورز يقول في احد اجتماعاته بمديري شركته : أيها السادة : إننى أفهم الآن أن هناك اتفاقا كاملا بين المجتمعين على القرار المعروض هنا .. لذلك فإننى اقترح تأجيل مناقشة الموضوع لاجتماعنا القادم لنعطى فرصة لتنمية وجهات نظر مختلفة ،فربما نفهم شيئا جديدا عن القرارالمطلوب اتخاذه (محمد عبدالجواد ، ٢٠٠٦ ، ١٣ – ١٤)

أما روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق فقد كان يدرك قيمة اختلاف وجهات النظر ، وأنه يثرى المؤسسة بالبدائل المختلفة ؛ لذلك كان عندما يعرض عليه أمر من الأمور المهمة ، فكان يعطى بعض مستشاريه وجهات نظر معينة تهدف إلى تأييد هذا الأمر ويطلب منهم تنميتها ، ثم يعطى وجهات نظر مختلفة إلى مجموعة أخرى تهدف إلى إبراز الجوانب السلبية حتى ينمي وجهات النظر المعارضة ، فكان هذا السلوب يحميه من أن يكون سجينا لآراء تتفق ، سواء أكان هذا الاتفاق يهدف على إقرار هذه الموضوعات أم معارضتها (طه جابر العلواني ، ١٠) .

أما الإمام مالك فحين انتهى من كتابه " الموطأ " وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز ، كما نقل ما ثبت لديه من أقوال الصحابة والتابعين ، وبوب أبواب الفقه ، فأحسن ترتيبه ، وأجاد تبويبه ، فكان ثمرة جهد الإمام على مدى أربعين عاما ، فكان أول كتاب في الحديث والفقه ظهر في الإسلام ، ووافقه على ما فيه سبعون عالما من معاصريه ، ومع ذلك فحين أراد المنصور كتابة عدة نسخ منه وتوزيعها على الأمصار ، وحمل الناس عليه حسما للخلاف ، كان الإمام مالك أول من اعترض عليه وقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ... فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم . فقال الخليفة : وفقك الله يا أبا عبدالله (محمد عبدالجواد ، ٢٠٠٦ ، ١٤ – ١٥) .

لا نبالغ إذا ذهبنا لأبعد من ذلك لنقرر أنه : إذا اتفق اثنان في كل شيء فلا حاجة لواحد منهما ، حتى قال أحد المفكرين : إذا اتفق معي الجميع أيقنت أني على خطأ ، وسنجد أنفسنا نردد مع ذلك الفيلسوف : جئت إلى هذا العالم لأختلف معه ، بمعنى أن أنوع في أفكار العالم وأزيدها ثراء وتنوعا وقوة ، وإذا كان الاختلاف شرا لابد منه – وهو ليس كذلك – فإننا نؤكد أن كل شر لابد منه ، هو خير لا غنى عنه .

إن إدارة الاختلاف ، والوعى بفقه الاختلاف يمثل حالة من الإصلاح الثورى أو الثورة الإصلاحية لكل ما تعج به مجتمعاتنا من مشكلات ، وهو ما يضعنا أما حقيقة تسطع بجلاء ، وهى أننا نعيش في حالة من " الوحدة المتكثرة " أو " الكثرة المتوحدة " ، أو التنوع في إطار الوحدة ، والوحدة في ظل الاختلاف ، ولا سبيل أمامنا إلا أن نعيش ونتعايش جميعا كأمة وكمواطنين وكأصدقاء ، أونذوب ونتلاشى ونفنى جميعا كأغبياء ، ولا حل أمامنا غير مد الجسور ، لا إقامة السدود ، ولا طريق أمامنا إلا ما نعبده نحن بوقع خطانا على الأرض وبالسير قدما صوب أنفسنا (أيها السائر ليس هناك طريق ، الطرق تصنع بالمشي) ، وبهذا أيضا ننسجم ونتماهى مع سنة الله في الخلق ؛ فإذا كانت الواحدية والوحدانية والتوحيد هي ما يخص الخالق الإله ، فإن التعدد والتنوع والاختلاف هو ما يخص من سواه ، وما سواه .

والمهم في هذا – من باب العدالة والإنصاف وتحقيقا للتعايش – أن نقف على مسافة واحدة بيننا وبين نختلف معهم ، أو نختلف عنهم ، من حيث إتاحة الحرية للتعبير رغم الاختلاف ... لنرفع أصواتنا مع فولتير : إنني وإن كنت أختلف معك فإنني على استعداد أن أدفع حياتي ثمنا لحريتك في التعبير عن رأيك . فماذا لو كان ما يجمعنا مع هؤلاء الذين نختلف معهم أكثر مما يفرقنا . وكما يقول " دي بونو " : إذا كنت لن تغير تفكيرك ، فلماذا يكون لك عقل ؟ " . ونعود لنؤكد أننا نواجه بقائمة من المشكلات لا يمكن أن تحل إلا بتغيير طريقة تفكيرنا ، إذ لا يمكن أن تحل تلك المشكلات بنفس طريقة التفكير التي أوجدتها "... إن اصطدامك بعائق ما إلماح لك كي تجرب شيئا آخر ، إذ الجنون أن تسلك نفس الطريق الذي سلكته من قبل ، وتتوقع أن تكون النتيجة مغايرة ، أو أنك تصل إلى مكان آخر.

إن من أهم الدوافع التي تقودنا للاحتفاء بالاختلاف والتنوع أن الاتفاق وتطابق وجهات النظر يمثل أزمة في حد ذاته ؛ لذا كان عمر – رضي الله عنه يقول : ما سرنى أن أصحاب النبي لم يختلفوا (رواه البيهقي) . نعم ، إن الطريق إلى احترامنا وتقديرنا للاختلافات بين البشر هو أن ندرك ونعى جيدا أن الناس لا يرون العالم كما هو عليه ، وإنما يرونه من خلال نظرتهم هم ، وهو ما يجعلنا حبيسين لقانون المنطق الثنائي (صواب / خطأ) ولا ندرك البديل الثالث . أحضر أحد العلماء مجموعتين من الأفراد ، وأسقط لهم عدة كلمات لا معنى لها على شاشة أمامهم ، وكان قد أعطى تعليماته إلى المجموعة الأولى أن الكلمات التي سيشاهدونها تتعلق بوسائل موصلات وسفر ، وقال لأفراد المجموعة الثانية : إن الكلمات التي يشاهدونها تتعلق بأسماء حيوانات وطيور ؛ وذلك للتهيؤ نفسيا للتجربة. وفعلا ظهر أثر الاتجاه النفسي من خلال إجابة أفراد كل مجموعة ؛ إذ إن نسبة (٤٧ %) من إجابات المجموعة الأولى جاءت متعلقة بطرق مواصلات ، بينما جاءت نسبة (٦٣ %) من إجابات المجموعة الثانية متعلقة بأسماء حيوانات وطيور.

ومن هذا يتبين أن سلوكنا يتوقف كلى كيفية إدراكنا لما يحيط بنا من أشياء واشخاص ونظم اجتماعية ، ونحن نتعامل مع المثيرات الموجودة في البيئة كما ندركها ، وليس كما هي عليه في الواقع(محمد عبدالجواد ، ٢٠٠٦ ، ٤٥ – ٤٦) .

نعم إننا إلغائيون في كثير من أمور حياتنا ؛ نتعامل في كثير منها بمنطق (إما .. أو) ، وننطلق وفقا لقاعدة (كل شيء .. أو لا شيء) علما بأنه في كثير من الأحيان هناك الطريق الثالث . وقد كان الصحابي ياتى للنبي ويسأله عن دابته بقوله : أعقلها أم أتوكل ؟ فقال له النبي : " أعقلها وتوكل "(رواه الترمذي ، وإن كان ضعيفا إلا أن معناه صحيحا) هذا هو الطريق الثالث ، وهذه هي الوسطية ، وهى ليست نقطة بين طرفين ، بقدر ما هي مدى بين نقطتين ، نجتهد من خلاله ، ونعمل عقولنا ، ونبدع في الوصول لحلول غيرمألوفة . إن اعتقادك أن هناك رؤية وحيدة للأشياء ، وحل أوحد للمسألة يمنعك من تقليب وجهات النظر.

رحم الإنسانية :

جاء رجل إلى معاوية بن ابى سفيان فقال له: سألتك بالرَّحم التى بينى وبينك. فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا. قال: أفمن سائر العرب؟ قال: لا. قال: فأية رحم بينى وبينك؟ قال رحم آدم. قال: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها. ثم قضى حاجته!! تلخص لنا تلك القصة أن جفاء رحم آدم قضية قديمة متجددة ، بل هي أبعد من ذلك بكثير ، منذ فجر الإنسانية

وقد دعا الخالق سبحانه أنبياءه - عليهم السلام - إلى التمسك بهذا المبدأ الراسخ - الأخوة الإنسانية - حتى يرتقى البشرُ وتعمرَ الأرضُ، وهذا المبدأ الإلهى أرسته كل الشرائع التى سبقت الإسلام الذى جاء خاتمًا للأديان السماوية، ولحفظ ما سبقه من أديان .

ولأن البشر - في مارثون الحضارة الإنسانية - قد تمكنوا من شتى فروع العلم ومختلف نواحي المعرفة، بما أفاد البشرية فى مختلف مناحى الحياة، ولكن هذا فى الوقت ذاته قد أضر بالناس كافة فى أُخوتهم الإنسانية، وذلك حضارة العصر تقوم على المادة ، وتولى اهتمامها بالآلة اهتمامًا يفوق اهتمامها بالإنسانية ، وعرف الغرب كثيرًا عن العالم الخارجي، ولكن علمه مازال قاصرا عن معرفة الإنسان معرفة حقيقية ؛ فرغم أبحاثه العلمية الكثيرة مازال لا يدرك أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، لعمارة الكون ، وترقية الحياة ، ومن ثم بقدر الطفرة التكنولوجية واتساعها ، والمنجز الحضاري وامتداده ، فلم تطمئن الجنوب في المضاجع ، ولم تجف العيون في المدامع ، نتيجة هذه الرحم المجفوة ، رحم آدم ، وغياب ذلك الشعور الرائع ، شعور أن الإنسان أخو الإنسان

الأخوة الإنسانية بين القبول والرفض :

ثمة من يرفض فكرة الأخوة الإنسانية ، مؤكدا أنها تصطدم مع أصول الدين وثوابته ، مشككا في الهدف من إطلاق تلك الدعوات ، منحازا إلى أنها تفضي في نهاية المطاف إلى تمييع عقيدة الولاء والبراء ، ، واستبدال ذلك بالدعوة إلى صداقة الإنسان غيرالمسلم على حساب إخوانه في العقيدة ! ، لتربط بينهم وبين المسلمين بوشيجة الإخاء، وحين يقتنع المسلم بهذه الدعوات سيحصل بينه وبينهم نوع من الانسجام الفكري، والتنازل العقدي، بغية الاجتماع على قواسم مشتركة ، ويرى أصحاب هذا التوجه أن هذه الدعوات يقوم بها من أصيب بالانهيار الداخلي، والهزيمة النفسية فيسعى جاهداً بقدر المستطاع أن يثبت بأنه محب ومسالم للآخر المختلف معه ، فلا بأس أن يهدي له كلمات المحبة والود والإخاء، ولو كان ذلك على حساب عقيدته التي ينتمي إليها ويستظل بظلها

وهم يرون أن الأخوة الحقيقية هي أخوة الدين الواردة في قوله تعالى :"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" (الحجرات: ١٠)، وإنما هنا أداة حصر فقد حصر الله الأخوة بين المؤمنين فقط ، ومنه قوله تعالى : "فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ" (التوبة: ١١)، أي في دين الإسلام ، ومنه قوله ﷺ :"المسلم أخو المسلم"، ولذا فإنه لما خاف الخليل إبراهيم – عليه السلام– من بطش الطواغيت بزوجته سارة قال عنها: (إنها أختي) أي أخته في الدين الحنيف الذي يجمع بينهم وهو الإسلام

ثم إنهم يرون أن الأخوة الواردة في الآيات بشأن الأنبياء وأقوامهم ، مثل قوله تعالى: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ" (الشعراء :١٠٥ ، ١٠٦) أن المقصود بها – على ما أشار إليه جمع من المفسرين – أنها أخوة النسب، ومنهم الشوكاني، حيث يقول: (أي أخوهم من أبيهم لا أخوهم في الدين)(٧)، ومن هذا قوله _تعالى_ لموسى: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي" (طه: ٤٢)، والمقصود به هارون – عليهما السلام– والذي كان أخاً لموسى من أب وأم

كما يرون أن من يراجع مباديء (الحرية – الإخاء الإنسانى – المساواة) وجذورها التاريخية، سيجد أن من أوائل من سعى لإبرازها هي: (الحركة الماسونية) والمستعمرين ، وهم يسعون لنشرها بكل ما أوتوا من قوة مادية أو معنوية. وقد ترجم عبد الله التل ما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه : (كنا أول من اخترع كلمات الحرية والإخاء والمساواة التي أخذ العلماء يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي، وهي كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقص الذي يشيع في مدلولها، إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه، قد جلب لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا)

وبِغَض النظر عن صحة البروتوكولات ونسبتها للماسونية اليهودية أو عدمها، فإنهم قطعوا على أنفسهم عهداً بنشرها ليغزوا بها عقول المسلمين

(عبدالله التل ،١٩٧١ ، ١١٨ – ١١٩)

وفي هذا الصدد أشار المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي (أنها – أي الحركة الماسونية – تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب)

ناصر العمر(١٤٢٦) : ١ / ٢ رؤية شرعية في الأخوة الإنسانية) ، موقع الشيخ ناصر العمر ، 29 ذو الحجه ، تاريخ الاسترداد ١٥ / ١٢ / ٢٠٢٠

تحرير محل النزاع

والحق الذي لا مرية فيه أن الله – سبحانه – قد خلقنا جميعاً من أبينا آدم وأمِّنا حواء- عليهما السلام – ومن ثم فنحن جميعاً نشترك في البنوة لهما وهو – سبحانه – يناديا جميعاً قائلاً: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً" (الأعراف: ٢٦) ؛ لذا كان إطلاق هذا المصطلح لأجل تلك البنوة من آدم وحواء ، أمرا سائغا من حيث أصل هذا المصطلح ، وبهذه المثابة يتضح أن بين النّاس – كل الناس - أخوة في الدّائرة الإنسانية الكبرى و ما دونها من الدوائر الأضيق منها ، فهي من صلب الدين وصميم الإسلام ؛ وإن تعجب فعجب ما يطلق من الآراء التي يطعن أصحابها فيمَن يعتقد بأنّ "النّاس إخوة في تلك الدّائرة الإنسانية الكبرى من خلال خلطهم بين أخوة الدّين الّتي اقتضتها عقيدة الإسلام بين المسلمين، والّتي هي محلّ إجماع لثبوتها بالنّصوص القطعية من الكتاب والسُّنّة، وبين أخوة اقتضتها روابط وعلاقات إنسانية أو أعراف بشرية (الوطن، الجنسية ، القومية...) وهم إذ يقفون موقفهم هذا إنما يتجاهلون جملة من الحقائق الدّينية الثابتة بالنّصوص القطعية ، منها إثبات الأخوة بين الأنبياء والرّسل وبين أقوامهم وإن كذّبوهم وتآمَروا على عداوتهم ؛ من ذلك قوله تعالى: « كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ »(الشعراء ١٠٥ – ١٠٦)"، « كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ... » (الشعراء : ١٢٣ – ١٢٤)، « كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ » (الشعراء : ١٤٠ – ١٤١) ، « كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ» (الشعراء ١٦٠ –١٦١)، «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» (هود : ٨٤)

ومن المعلوم يقينا أن "كلُّ هؤلاء الأقوام كذَّبوا رسلهم وكفروا بهم، ومع هذا أثبت القرآن اسم الأخوة للرّابطة القومية الّتي تربطهم برسلهم"، مشيرًا إلى أنّه "قد يكون الشّخص أخًا لك في رابطة الدم الإثنية، أو الانتماء لبلد أو وطن ، وإن خالفك في الدّين، كما يكون أخًا لك في الدّين وإن خالفك في الانتماءات الأخرى". وهو ما أكده ما ورد في دعاء النّبيّ ﷺ: "... وأشهد أنّ العباد كلّهم إخوة"، وقوله ﷺ تأكيدا للأخوة الإنسانية والبنوة لأدم : « يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ». (مسند الإمام أحمد)

"فأثبت أخوة في الدّائرة الإنسانية الكبرى، ولا تكون هذه الأخوة إلّا أخوة الإنسانية".

ولفت الأستاذ مهاجري إلى أنّ هذه الأخوة "تقتضي اهتمامًا متبادلًا بين أفرادها، من التّضامن والتّعاون والتّراحم والإحسان، وغير ذلك من القيم السّامية الّتي تنبع من فطرة العطف على بني الجنس كلّه، والإسلام الّذي حدّد الغاية القصوى من رسالته بإتمام مكارم الأخلاق، يستوعب هذه القيم ضمن كلياته ومرتكزاته التّشريعية" ، وهو ما جاءت معطيات علوم الأعصاب لتؤكده على النحو الذى سيورده الباحث في موضعه من هذا البحث (**عبدالحكيم قماز : ٢٠٢٠**) .

وينبغي ألا يفهم أن المقصود من تأكيد فكرة الإخاء الإنساني تفريغ الإسلام من مضامينه العقدية ،أو تمييع عقائد المسلمين في نفوسهم ، وإبعادهم عن ثوابت دينهم ، ورويدا رويدا يتم الانتقال بهم إلى إثبات مبدأ (الإخاء الديني) فيلتبس على المسلمين أمر دينهم.

وبخصوص ما وردفي شأن بروتوكولات حكماء صهيون ، وأنهم هم من رفعوا شعارات الأخوة الإنسانية بنصوص يُستشهد بها من قبل من يرفضون هذا المنطلق ؛ فإن غير واحد من المؤرخين شكك فى مصداقية تلك البروتوكولات وثبوتها تاريخيا ومن أهم هؤلاء المؤرخ الكبير عبد الوهاب المسيري الذي شكك في مصداقيتها، وقال أن هذه البروتوكولات ليست وثيقة ولا دقيقة

كما كشفت بعض الدراسات أن موضوع هذا النص وهمى ، وذلك بقولها : البروتوكولات ما هى إلا انتحال سيء لكتاب حوار فى الجحيم بين ميكافيلى ومونتسيكو الذى نشر فى بروكسل عام ١٨٨٤ ، والذى يدين نابليون بونابرت ، ويبدو هذا الخداع واضحا من خلال مقارنة بسيطة بين نص الكتاب ونص البروتوكولات ، وهو ما أوضحه بيار شارل الكاهن اليسوعي

وحسب التحقيقات الصحفية التى قامت بها صحيفة التايم اللندنية عام ١٩٢١ فإن الاعتقاد الراسخ ، هو الذي ينكر حقيقة هذه البروتوكولات ، ويؤكد أنه تم اقتياسها وتزويرها وتحريفها من كتيب ذى طبع نقدى لاذع من الطموحات السياسية لامبراطور فرنسا نابليون الثالث ؛ حيث قام المحامى الفرنسي موريس جولى بتأليف كتيب بعنوان "حوار في جهنم بين ميكافيلي ومونتيسكيو ، وتم طبعه لأول مرة في بروكسيل عاصمة بلجيكا عام ١٨٦٤

(Pierre Charles, vol. 65, 1938, pp.56-78, 966-969, 1083-1084.)

الشريعة الإسلامية ومصطلح (الإخاء) :

قد بينت الشريعة الإسلامية حقيقة وكيفية(الإخاء) كما في الوحيين:(الكتاب والسنة) وهي:

١ - أُخوة الدين :

فمن كان كافراً فهو أخ للكافر، ومن كان مسلماً فهو أخ للمسلم، ومنه قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" (الحجرات: من الآية١٠)، وإنما أداة حصر فقد حصر الله الأخوة بين المؤمنين فقط، ومنه قوله تعالى: "فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ" (التوبة: من الآية١١)، أي في دين الإسلام(٥)، ومنه قوله ﷺ : " المسلم أخو المسلم"، ولذا فإنه لما خاف الخليل إبراهيم – عليه السلام- من بطش الطواغيت بزوجته سارة قال عنها: (إنها أختي) أي أخته في الدين الحنيف الذي يجمع بينهما وهو الإسلام

ولذا فقد بين – عز وجل – أن المنافقين ليسوا بمسلمين وأنهم إخوان للكافرين فنزع أخوتهم من المسلمين وقرنهم بالأخوة التي تربط بينهم وبين الكافرين ، قال ابن الجوزي عند قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ " (الحشر:١١): (أي في الدين لأنهم كفار مثلهم وهم اليهود)

٢ - أخوة القرابة والنسب :

ومنه قوله – تعالى - : "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ" (الشعراء:١٠٥، ١٠٦)، وقد نص جمع من المفسرين بأن المقصود بهذه الأخوة في هذا الموضع بأنها أخوة النسب، ومنهم الشوكاني، حيث يقول: (أي أخوهم من أبيهم لا أخوهم في الدين)(٧)، ومن هذا قوله – تعالى- لموسى: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي" (طه: ٤٢)، والمقصود به هارون -عليهما السلام- والذي كان أخاً لموسى من أب وأم (موقع الشيخ ناصر العمر : رؤية شرعية في الأخوة الإنسانية ٢/١، ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٦ ، تاريخ الاسترداد ٩/ ديسمبر ٢٠٢٠)

٣ – الأخوة الإنسانية :

وهى تمثل الرباط الذي يجمع البشر باعتبارهم أبناء آدم وحواء ، والتي أشار إليها قول النبي ﷺ : "... وأشهد أنّ العباد كلّهم إخوة"، وقوله ﷺ تأكيدا للأخوة الإنسانية والبنوة لأدم : « يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ... "

مناقشة نتائج الدراسة المرتبطة بمتغيراتها :

أولا : نحو إطار مرجعى جامع للتصور الإسلامي للأخوة الإنسانية :

ثمة مقولة مفادها ومؤداها : "عندما يوجد فرد يسود السلام وعند وجود اثنين ينشأ الصراع وعند وجود أكثر من ذلك تبدأ التحالفات" ، ومع بريق المعنى الذي توحي به الكلمة ، إلا أننا نرى أن الفرصة مواتية لنؤكد أن فكرة الصراع غائبة عن الوجود والشهود في التصور الإسلامي وتطبيقاته . فالتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة يؤكد باستمرار فكرة الوفاق والوئام بين مفردات الكون جميعها

لقد بات في حكم المؤكد أن حقيقة الأخوة الإنسانية إنما يبهت معناها أو يتأكد في نفوس البشر وفقًا لتصوراتهم الاعتقادية عن الألوهية والكون والإنسان والحياة ، لأن آراء البشر وتوجهاتهم في الحياة وإنما تنبع من معتقداتهم. وكما يقول "على مدكور" أن فكرة التعايش والأخوة الإنسانية في الإسلام فكرة أصيلة عميقة ، تتصل اتصالًا وثيقًا بطبيعته وفكرته عن الكون والإنسان والحياة. هذه الفكرة التي ترجع إليها نظمه جميعًا . وتلتقي عندها تشريعاته وتوجيهاته ،وتجتمع إليها شرائعه وشعائره بشكل لا يخطر على بال كثير من الباحثين الدارسين أنفسهم لهذا الدين إلا أن يبلغوا بالحديث والدرس إلى الجذور العميقة البعيدة ، ويتتبعوا امتدادها وتفرعها في يقظة وإحاطة.

إن البحث في أي حقل من حقول الإسلام لا غنى له عن الإلمام بتلك النظرة الكلية الكبيرة الشاملة ؛ لشدة الترابط والتناسق بين أجزائها واتجاهاتها ، وتوثق الصلات بينها وبين كل نظرة جزئية أو مسألة تفريعية ، فهذا الدين لا يعالج مشكلات الحياة الإنسانية أجزاء وتفاريق ،ولا يقيم كلًا منها على أصل لا علاقة له بسائر الأصول إنما هو يرجعها كلها إلى نقطة ارتكاز واحدة ،ويديرها كلها حول محور جامع واحد ، تشدها إلى هذا المحور خيوط ظاهرة أو دقيقة ،ولكنها قائمة على كل حال تؤلف من مسائل هذا الدين وقضاياه وحدة كلية جامعة ، مردها إلى نظريته الكلية للكون والإنسان والحياة (على أحمد مدكور ، ١٩٩٠ ، ١٨ – ١١٣)

يبدأ الخطوة الأولي بتوحيد الإله ، الذات التي تصدر عنها الحياة وإليها وحدها الاتجاه كله " قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ * (الإخلاص) وبذلك ينهي كل أسباب الفرقة والخلاف في مصدر الكون ، ويستبعد أسباب الفساد والصدام في قوانينه . فوحدة الإله الخالق تنفي عن الكون تعدد التصميم والنظام ، وتنفي عنه تبعًا لذلك أسباب التعارض والاصطدام ، وهو ما يؤكده قول الحق سبحانه " لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ "(الانبياء :٢٢)

وفي يد هذا الإله الواحد ملك كل شيء ،وإليه يتوجه الكون كله جملة وأفرادًا في الدنيا والآخرة في العمل والصلاة في المحيا والممات ، وإليه مرده كما كان عنه مورده. " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " (الاسراء: ٤٤) " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " (الذاريات: ٥٦)

وبذلك ينفي عن الكون والحياة والأحياء فكرة ضلال الغاية أو تصادم الهدف ، ويسلكها فى الطريق الواحد المؤدي إلى الغاية ،غاية الجميع ، ووجهة الجميع .

هذا الكون المتفرق الأجزاء ،المتعدد الأشكال ،المتنوع الأحجام ، يرجع إلي أصل واحد وإلى طبيعة واحدة وقد كان في أصله مجتمعًا ، ثم في يوم لا أمس له ، وبكلمة كن من الخالق سبحانه تفتقت أبعاضه ، تكونت أبعاده " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا " (الانبياء: ٣٠) .

ويخضع كله لنظام واحد ينسق حركاته ويقيه التصادم والتهدم ،ويهيمن على أجرامه وأفلا كه وينظم سيرها ومجراها " لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " (يس: ٤٨) ، وهو ما توصل إليه العلم الحديث فيما عرف بنظرية الانفجار العظيم .

وبذلك ينفي عن أجزاء الكون المتفرقة صفة التقاطع والتناثر ، ويثبت لها صفة التوحد والتناسق في طبيعة الكون ، وفي نظام الحركة . والحياة في هذا الكون مقصودة وليست عابرة ، وقد روعي في تصميم الكون وفي نظامه أن يسمح بظهور الحياة ، وأن يوافيها بحاجتها وحاجات الأحياء وأن يحرسها من التحطيم والهلاك والفناء ، فقد أودع الله فيه من النواميس ن وبث فيه من القوانين ما يساعد على ذلك . فهذه الأرض" وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ " (فصلت: ١٠)

وهذه السماء روعي في تصميمها مقتضيات الحياة " قال تعالى: (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا) " (فصلت:١٢) " وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ " (الحج: ٦٥). وهذه الرياح بين السماء والأرض في خدمة الحياة والأحياء " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ " (الروم: ٤٨) وبذلك يقرر التعاون والتناسق بين طبيعة الكون ،وطبيعة الحياة في عمومها ويبعد فكرة التصادم والتعارض ، كما يقرر مبدأ النظام المقصود في بناء الكون وينفي فكرة المصادفة العمياء التي لا تقوم على نظام (**على أحمد مدكور ، ١٩٩٠ ، ٢٤ -١٥٥) .**

والحياه النابضة في هذه الأرض خرجت من أصل واحد وهو الماء " وَجَعَلْنَا مِنَ المآء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " (الانبياء :٣٠) وتشترك في خاصية واحدة هي خاصية التزاوج " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " (الذاريات: ٤٩) وتشترك في تنظيم جماعي واحد " وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم " (الأنعام: ٣٨) وبذلك يقوم النسب بين الأحياء جميعًا ويصبح الأحياء أسرة واحدة تنبت من أصل واحد وتقوم القرابة بين الأحياء والأشياء في هذه الأرض جميعًا.

والإنسان أرقى نماذج الحياة مصوغ كيانه من ماده الكون الأولى ، ونسبه إلى مادة هذا الكون عريق " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ " (المؤمنون:١٢) . وأفراد هذا الكائن خلقوا من نفس واحدة " الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " (النساء:١) ، وهم موحدون في أصلهم الواحد ، متساوون في نسبتهم إليه ، كما قال ﷺ: " أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب " (رواه مسلم) وكلهم خلقوا ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتناحروا ويتدابرو " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " (الحجرات :١٣) .

وبذلك يزيل كل أسباب النزاع العنصرية والجنسية بتقرير وحدة الإنسانية في طبيعتها وفي أصلها ، وفي نشأتها و بتقرير الغاية من تفرق الأجناس والقبائل والنص على أنها التعارف والتآلف لا التناحر والتدابر، إلى هذه البشرية الواحدة أرسل الله الواحد رسالة واحدة ،المؤمنون بها أمة واحدة " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " (الشوري: ١٣) وبذلك يزيل كل أسباب النزاع الدينية بين المؤمنين بدين الله الحق ، بتقريره أن الدين كله من عند الله ،وأنه دين واحد.

(على أحمد مدكور (١٩٩٠) : منهج التربية في التصور الإسلامي ، بيروت ، دار النهضة العربية) .

وبهذا يكون الباحث قد أجاب عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة ، والذى ينص على : ما مقومات التصور الإسلامي التي تؤكد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

ثانيا :علوم الأعصاب وعلاقة التواشج بين البشر :

خلايا المرآة (خلايا التعاطف بين الإنسان وأخيه الإنسان) :

آذاه جرح أوجعه، فبكى وأبكى من معه
جرح قديم راعف، أحيا القصيد ورجعه
من للجريح يضمه، من للمصاب ليرفعه

قد تشاهد إنسانا يبكى من فرط الأم على نحو ما ذكر الشاعر ؛ فتنخرط معه في نوبة من البكاء الطويل دون أن تعرفه ، أو تدرى سبب بكائه .
قد تشاهد شخصا لا تعرفه يضحك بشدة ثم تجد نفسك تضحك من كونه يضحك بصرف النظر عن معرفة سبب ضحكه

وقد تركب مع صديق سيارته المسرعة وتظهر سيارة أمامك بشكل مفاجيء فتجد نفسك تدفع بقدمك كأنك تريد الضغط على كوابح السيارة

تسمع صوت فرامل شديد لسيارة فتغمض عينيك ، أو تشاهد اثنين من المصارعين يكيلون اللكمات لبعضهما ، فلا تملك القدرة على النظر إلى أحدهما أو كليهما وهو يتألم .

وقد تشاهد شخص في المطعم يشمئز ويمسك على صدره وفمه وهو يكاد يسترجع ما أكل، فتكون ردت فعلك (أن تسد نفسك من الاكل) !! على الرغم من أنك جائع ولا تدري ما سبب موقف ذلك الرجل
وقد تشاهد شخصا في الشارع يتألم ويمسك بساقه وهو يصرخ من الألم وتنظر إليه وأنت تقطب جبينك متألما وشاعرا بالألم رغم انك مستمتع بنزهتك في الحديقة ولا تشكوا من أي شيء قبل هذا المشهد.
وقد تشاهد مبارة كرة قدم، وتصل الكرة إلى الهجوم الذي يركض ليلحق بالكرة قبل أن تخرج من الملعب فتجد نفسك تشد عضلات ساقيك وفخذك وتجد ظهرك مشدود العضلات تحفزا للحاق بالكرة ! رغم أنك تشاهدها في التلفاز!

حتى مهارات اللغة نتعلمها عن طريق التقليد والمحاكاة عن طريق خلايا المرآة ودور منطقة " بروكا " يمثل حقيقة تسطع بجلاء في هذا المجال خاصة في تعليم التحدث

كذلك فإن الاستماع عن شيء أو قضية ينشط خلايا المرآة ، وكذلك القراءة عن خبرة أو موضوع ينشط خلايا المرآة

وأنا اعتقد أيضا أنا الكتابة عن شيء ينشط خلايا المرآة نظرا لارتباط الكتابة بمركز الحركة

ومهما يك من شيء عن موقع مركز خلايا المرآة في الدماغ سواء ما قيل إنها بمركز بروكا أو الجزيرة أو منطقة (F5) أو مركز الحركة ، أو القشرة الأمامية بالمنطقة ما قبل الحركية ، فإن تجليات هذه الخلايا العصبية ، ودورها في قادم الأيام في مسير ومصير البحث العلمى لن يقل أهمية - كما تنبأت بعض الأوساط العلمية - عن الأهمية التي أحدثها اكتشاف تركيب (DNA)

فماذا نعنى بخلايا المرآة ؟

المقصود بخلايا المرآة : خلايا المرآة Mirror neurons، هي الخلايا التي تنشط في دماغك عندما تجلس أو عندما ترى شخصاً يجلس، وهي التي تنشط إذا رفَعْتَ يدك بتحية العلم أو إذا رأيت تلميذاً يرفع يده ، وهي التي تنشط إذا فتحت باب سيارتك أو شاهدت شخصاً يفتح باب سيارته. ليس مهماً إن كنت تشاهد هؤلاء على الطبيعة أو من خلال فيلم ، أو حتى تقرأ عنهم ، المهم أن كل حركة تشاهدها سوف تُنَشِّط خلايا المرآة الخاصة بهذه الحركة في دماغك، كما لو كنت أنت من يقوم بها

ومن ثم فهى تقوم بمراقبة وتحليل ما يجرى للآخرين قبل أن تظهر بأعراض معينة ، كتقلص في عضلات الوجه ، أو الابتسام ، أو الغضب .

نشر اكتشاف الخلايا المرآة أول مرة نشراً موجزاً، عام ١٩٩٢م، وفي بحث لاحق قدم المكتشفون الثلاثة مزيداً من التفصيل حولها، وبسرعة أدرك العلماء أن الاكتشاف سيكون نقطة تحول مهمة في تاريخ العلم، حتى إن بعضهم توقع أن يُحدِث هذا الاكتشاف في مجال علم النفس وعلوم الأعصاب، ثورة لا تقل عن تلك التي أحدثها اكتشاف تركيب الحمض النووي (DNA) في مجال البيولوجيا ؛ إذ كان اكتشاف تركيب الحمض النووي مفتاحاً لدخول عالم الهندسة الوراثية وكشف تفصيل الجينوم البشري، واكتشاف الخلايا المرآة سيكون في رأي كثير من العلماء مفتاحاً لفهم تفصيل الأدوات التي تنظم عمل العقل البشري.

اكتشاف خلايا المرآة :

" كما يرى القرد، يفعل القرد" مثل أميركي جال بخاطري ، وهو يشير إلى أولئك الذين يتعلمون الأشياء دون أن يفهما معناها ، لكن لم يدر بخلدى تلك المحاولات المتكررة التي يقوم بها علماء الأعصاب على مدى العقدين الماضيين للتحقق من الأسس والجذور العصبية لهذا المثل وانعكاساته على سلوك البشر.

إذ على الرغم من أن اكتشاف خلايا المرآة بدأ من خلال بحوث تم إجراؤها على دماغ قرد المكاك ، إلا أنه كان الباعث الحثيث الذى أغرى العلماء بالبحث عن تلك الخلايا في دماغ الإنسان هو اعتباره أكثر تطورا من دماغ القرد – وإن لم يكن هذا في حد ذاته دليلا كافيا – لذا كانت فرصة العلماء في نجاح مسعاهم متوقعة إلى حد بعيد ، وبالفعل فمن خلال تقنية التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي Functional Magnetic Resonance Imaging أو ما يسمى اختصاراً FMRI ، تمكن العلماء من تصوير نشاط الخلايا المرآة في دماغ الإنسان، ووجدوا أنها تقع في المنطقة نفسها (F5) من المخ. وسرعان ما توالت الأبحاث والمكتشفات التي تؤكد أهمية هذه الخلايا في التعلم والتعاطف والتواصل الاجتماعي بين البشر.

وفي عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٢م اكتشف العلماء أن هناك نوعاً من الخلايا المرآة لا يحتاج تنشيطه إلى أداء حركة أو ملاحظتها، بل يكفي سماع الصوت الدال على حركة ما، فسماع صوت ارتشاف مشروب ساخن مثلاً يثير الخلايا المرآة الخاصة بالشراب. وقد سميت هذه الخلايا باسم الخلايا المرآة السمعية البصرية audio-visual mirror neurons.

وفي عام ٢٠٠٣م الذي صادف أن تسلَّم فيه العالِمان اللذان لهما فضل ابتكار تقنية FMRI وتطويرها جائزة نوبل، رَصَد أكثر من فريق علماء طائفة أخرى من الخلايا المرآة تقدح بالنشاط فقط عندما يتكلم الإنسان أو عندما يراقب شخصاً يتكلم. ووجد أيضاً أن رؤية حركة الشفاه وحدها دون صوت مسموع تكفي لبث النشاط في تلك الخلايا. والمهم في هذا الأمر أن هذه الخلايا تقع في المنطقة المعروفة باسم منطقة بروكا في الدماغ ، وهي منطقة اتخذت اسمها من الطبيب الفرنسي بيير بروكا الذي اكتشف أن عطب هذه المنطقة يؤدي إلى فقدان القدرة على الكلام. وكان الاستنتاج الحتم أن هذه الطائفة من الخلايا المرآة هي المسؤولة عن الكلام والتواصل، ومن هنا أُطلِق عليها اسم الخلايا المرآة الخاصة بالتواصل communicative mirror neurons. (مدحت صادق مريد ، ٢٠١٨)

وفي دراستين حديثتين أيضاً وُضعتا في العام ٢٠٠٤م ثبت أن وخز الإنسان بإبرة مؤلمة يثير الخلايا المرآة في دماغه على نحو لا يختلف عما يحدث إذا شاهد شخصاً آخر يتعرض للوخز، وأن شعور المرء مثلاً بالتقزز من شيء ما ومشاهدته لشخص آخر تبدو على محياه علامات التقزز، يكونان مصحوبين بالنمط نفسه من النشاط في الخلايا المرآة.

وسرعان ما ثبت من دراسة أحدث أن معظم العواطف الاجتماعية كالشعور بالذنب أو الخجل أو الكبرياء وغيرها، كلها مبنية على جهاز مرآة بشري متفرد يوجد في منطقة من المخ تسمى الجزيرة insula، ووجد أن خلايا هذه الجزيرة تسجل الألم الاجتماعي للرفض، عندما يراقب صاحبها يداً تمتد للمصافحة ويداً أخرى تتعمد

العزوف عن مصافحتها مثلاً، وتبين كذلك أن القراءة عن الآخرين أو حتى مجرد التفكير فيهم، يؤثر في نشاط الخلايا المرآة تماماً مثل الملاحظة أو السمع المباشر.

استدل العلماء من ذلك على أننا عندما نشاهد الآخرين أو نسمعهم، أو حتى نقرأ عنهم، فإن دور الخلايا المرآة في مخنا لا يقتصر على رصد أفعالهم، بل يجعلنا أيضاً نشعر بذات شعورهم، ونعيش معهم خبرتهم بحلوها ومرها، سواء أعبَّرنا عن ذلك أم لم نعبر، ومن ثم يمكننا بالتالي قراءة أفكارهم والتنبؤ بتصرفاتهم. ويقول العلماء أيضاً إن قدرتنا على الشعور بالغير تزداد كلما اجتزنا تجاربهم، لأن خبرتنا الذاتية تقوي شبكة الخلايا المرآة لدينا وتجعلنا أسرع إحساساً بغيرنا، وهو ما يعرف علمياً بالتعاطف empathy أو التقمص العاطفي، أي قدرتنا على وضع أنفسنا في موقف من نراهم. فإذا رأيت شخصاً يتلوى من الألم ثم قلت له: أنا أحس بألمك فإنك في حقيقة الأمر لم تنطق بعبارة مجازية، بل وصفت ما يحدث تماماً في دماغك.

لعلنا نفهم الآن لماذا يكون الضحك أو التثاؤب مُعدِياً، وكيف أن ابتهاج المرء يشيع الإحساس بالراحة عند من يخالطونه (مدحت صادق مريد (٢٠١٨)

نعم مازال الجدال محتدما بين باحثي علوم الأعصاب حول ما إذا كان الجهاز العصبي المرآتي (Mirror neuron system) له دور في العمليات المتنوعة كإدراك الكلام و إدراك معاني أفعال الآخرين وكذلك فهم تفكير الآخرين.

إدراك الكلام وفهمه : هناك دور يمكن أن يلعبه الجهاز العصبي المرآتي في كيفية فهمنا لكلام الآخرين، ولكن المرجح أن هذا الدور هو أصغر بكثير مما اعتُقد سابقا. في الحقيقة إن هذا الدور من الصغر بما يكفي لأن نقول أنه من غير المرجح أن تكون العصبونات المرآتية هي العامل المؤثر في قدرتنا على فهم الكلام

إدراك الأفعال وفهمها : يُعتقد أن العصبونات المرآتية تلعب دورا مهما في كيفية أو سبب إدراكنا لأفعال الآخرين ، كاستخدام شخص عصا والتلويح بها.

إدراك الأفكار والتنبؤ بها : أحد أقوى الأدوار المقترحة للجهاز العصبي المرآتي في البشر هو فهم مزاج الآخرين ونواياهم ورغباتهم، وليس أفعالهم البدنية أو كلامهم فقط.

ما أن اكتُشفت الخلايا المرآة ودورها في التواصل الاجتماعي، أدرك العلماء العلاقة بين عملها وبين مرض التوحد، وسرعان ما اكتُشِف أن الأطفال المتوحدين يعانون فعلاً خللاً أو ضعفاً في نشاط جهاز الخلايا المرآة في أدمغتهم، وأن ذلك الضعف يكون أوضح في الخلايا المرآة الخاصة بالتواصل. لهذا يعجز هؤلاء الأطفال عن تكوين انطباع عن شعور الآخرين بالخوف أو الغضب أو السرور، على الرغم من أنهم يخافون ويغضبون ويُسَرّون. ولقد أعطى هذا الكشف أملاً في علاج بعض أشكال التوحد أو على الأقل تخفيف آثاره، فتبين أن الخلايا المرآة قابلة للتدريب واكتساب الخبرة، إذ تحسن أداء الرياضيين المحترفين كلما استخدموا جهاز الخلايا المرآة لديهم، ربما دون أن يعلموا، وذلك بالدأب على مشاهدة المباريات أو القراءة عن أساليب اللعب. ويأمل العلماء في وضع برامج تدريب لتنشيط الخلايا المرآة عند المصابين بالتوحد، لتمكينهم من التواصل تواصلا أفضل.

كذلك يُعتقد بأن بعض المصابين بالتوحد(Autism) يواجهون صعوبة في فهم أمزجة أو نوايا أو رغبات الآخرين ولذلك قد يكونون مفتقرين للعصبونات المرآتية. ولكن بعض الدراسات أظهرت بصورة مستمرة أن مرضى التوحد قادرون إلى حدٍ بعيد على فهم نوايا أفعال الآخرين. مما يرجح أن مفهومنا لمرض التوحد والعصبونات المرآتية يحتاج إلى مراجعة ، كما أن بعض الدراسات بدأت في التساؤل – عند بحثها في علاقة مرض التوحد بخلايا المرآة – هل مرض التوحد سبب في أي خلل في خلايا المرآة لدى هؤلاء أم هو نتيجة ؟

تمكن علماء أعصاب من مركز الرئيسات الألماني من التنبؤ بحركات الإمساك والقبض بواسطة قياس نشاط الخلايا العصبية.

سواءً كنت تقوم بربط حذائك، أو بتحريك قهوتك، أو تكتب رسائل، أو تعزف على البيانو. بدءاً من النشاطات اليومية الاعتيادية وحتى أكثرها صعوبةً، فإننا نستخدم أيدينا أكثر من أي جزء آخر في الجسم.

تمكن العلماء باستخدام قياسات فيزيولوجية كهربائية للمناطق المسؤولة عن التخطيط وتنفيذ حركات اليد من التنبؤ بمجموعة من وضعيات اليد عن طريق التحليل لإشارات عصبية دقيقة.

وبهذا يكون الباحث قد أجاب عن السؤال الثانى من أسئلة الدراسة ، والذى ينص على : ما مفاهيم علوم الأعصاب التي تعضد حقيقة الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

التصور الإسلامي وعلوم الأعصاب : تعاضد لا تعارض !

الثقافة والشعور في الخلايا :

وهكذا عرف العلماء الدور الحاسم الذي تلعبه الخلايا المرآة في انتقال الثقافة البشرية، فهي الخلايا التي تمكننا من تعلم اللغة وفهم الإيماء. فإضافة إلى ما تقوم به تلك الخلايا في مساعدتنا على ما نتعلمه في المدارس من قواعد النحو والبلاغة والإنشاء وما إلى ذلك، تتكون حصيلتنا اللغوية الأساسية، كما بين العلماء أيضاً بالمحاكاة، عندما كنا صغاراً نتابع آباءنا ونقلد أصواتهم وتحرك شفاههم، ونحاول ربط تلك الحركات والأصوات بمدلولاتها. يمكن القول إذن إن الخلايا المرآة هي المسؤول الأساس عن تعلم لغة الأبوين والانطباع بعادات المجتمع وإدراك الفرق بين هوية المرء الثقافية وهوية الآخرين. ليست الثقافة إذن منفصلةً عن البيولوجيا، فلولا الخلايا المرآة ما أمكن للبشر اقتناص الثقافة أو نقلها من جيل إلى جيل.

ومن المعلوم طبيا أن هناك ما يعرف بالأطراف الشبحية ، متمثلة في أولئك الذين فقدوا أحد أطرافهم ، ومع هؤلاء يشعر الواحد منهم بوجود العضو الذي تم بتره ، سواء أكان العضو المبتور ذراعا أم ساقا ، أم ثديا ، أم أنفا ؛ إذ إن الواحد منهم إذا رأى إنسانا يقوم بحك أحد أطرافه فإنه يشعر بما يشعر به تماما من الألم كأنه هو صاحب الطرف السليم ، وهذا من أكبر الأدلة في علوم الأعصاب على وعى

الإنسان بالأخر وشعوره بما يشعر به ، ولو تم تخدير العضو ، أو تم بتره فإن صاحب العضو المخدر أو المبتور سيتشعر تماما الألم الواقع على الانسان الذي تمت مشاهدته أو التعاطف معه . ويروى أن القائد البحرى البريطاني الكبير لورد نيلسون عندما فقد ذراعه الأيمن ظل يشعر به ، وقد عد ذلك دليلا قاطعا على وجود الروح ؛ فإذا كان الإنسان يشعر ببقاء ذراعه بعد بترها ، فلم لا يبقى الإنسان كله بعد موت الجسم (عمرو شريف ، ٢٠١٧ ، ٧٨) .

وقد نرى طفلا يأخذ حقنة وينخرط في بكاء طويل ، وإذ بوالده الذي يمسك به يشاركه نفس البكاء كما لو كان هو الذي يتلقى الألم ، وهنا خلايا المرآة تتدخل وتنبهه بأن تعاطف تماما لكن اعلم أن المقصود بالحقنة ووخزها هو طفلك وليس أنت ، ويساعد في تأكيد المعنى وجود مستقبلات على الجلد لدى من يتعرض للألم ، لكن إذا نزع هذا الجلد ، أو تم تخدير العضو ، أو بتر العضو لدى الأنسان المتعاطف ، فإنه سيشعر بالأم كما الآخر سواء بسواء

ولعل فى إعجاز الوارد فى حديث النبى ﷺ ما يكد ذلك ، فعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ : مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، » رواه أحمد.

وبهذا يستحيل الناس كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، كما قال النبى ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ :مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، برقم :٢٥٨٦)

ويهذا يكون الباحث قد أجاب عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة ، والذى ينص على : كيف يمكن الاستفادة من الربط والتكامل بين مقومات التصور الإسلامي ونتائج بحوث علم الأعصاب في تأكيد الأخوة الإنسانية والتعايش السلمى بين البشر ؟

ثالثا : الأخوة الإنسانية مدخلا تربويا لتطوير منظومة التعليم ، والانطلاق منه فلسفة تعليمية تعلمية تلقي بظلالها على منظومة التعليم ، وتمثل حقيقة تسطع بجلاء في كل مفردات المنهج الدراسي ، بداية من الأهداف ، ومرورا بالمحتوى التعليمي ، واستراتيجيات التدريس ، وأساليب التقويم

خلاصة بأهم النتائج :

لعل من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي :

- إن الأخوة الإنسانية حقيقة واقعة بحكم انتماء الجنس البشري لأبينا آدم ، وهو أمر متفق عليه بين البشر جميعا
- إن التصور الإسلامي وهو يعالج قضية الأخوة الإنسانية أو غيرها من القضايا فإنه لا يعالجها في صورة أجزاء وتفاريق ، ولا يقيم كلًا منها على أصل لا علاقة له بسائر الأصول ، أو بشكل مجزء مفكك ، وإنما يربطها بإطار كلي جامع ، ويرجعها كلها إلى نقطة ارتكاز واحدة ، ويديرها كلها حول محور جامع واحد ، تشدها إلى هذا المحور خيوط ظاهرة أو دقيقة ،ولكنها قائمة على كل حال تؤلف من مسائل هذا الدين وقضاياه وحدة كلية جامعة ، مردها إلى نظريته الكلية للكون والإنسان والحياة .
- إن الانتماء للأسرة الإنسانية من خلال مساحات التقاء ونقاط تماس بين بني البشر جميعا كفيل بأن يمثل أرضية مشتركة للتعايش والتراحم والتعاون من خلال رحم الإنسانية التي ننتمى إليها جميعا
- إن هذه الأخوة الإنسانية تتطلب أن يقف كل طرف على مسافة واحدة من جميع الأطراف ، وأن يسود العدل والقسط ، وأن يتم التعاون ، وأن تنحى فكرة التهميش أو الإقصاء أو الإرغام أو محاولة أكراه طرف لتبنى عقيدة الآخر
- إننا رغم ما بيننا من أخوة إنسانية ، فلا يعنى هذا أن يتنازل أحد عن قناعاته الفكرية ، وأنساقه القيمية ، وأطره المرجعية التي يؤمن بها ويعيش عليها
- إن الاختلاف بين البشر سنة كونية وضرورة بشرية وحاجة اجتماعية ، اقتضتها حكمة الخالق – سبحانه – وهى لا تعكس التعارض والتضاد بين البشر بقدر ما تعكس حالة التنوع والثراء .

- إن إفرازات العلم ومعطياته المرتبطة بعلوم الأعصاب قد أكدت فكرة التواشج والتعاضد والأخوة الإنسانية بين بني البشر كأنهم جسد واحد ؛ وذلك من خلال فكرة وعى الإنسان بأخيه الإنسان ، وتعاطفه معه ، وإحساسه بمشاعره وبآلامه بشكل حقيقي ، كأنه هو من يتعرض للألم حقيقة لا مجازا ، وآية ذلك ما تم استعراضه من خلال (خلايا المرآة) و (الأطراف الشبحية)
- إن العلاقة الوثيقة بين مفهوم الأخوة الإنسانية ونتائج علوم الأعصاب تعد مدخلا ارتقائيا فاعلا ومؤثرا لتطوير منظومة التعليم عامة وفي مملكة البحرين خاصة ، وهو ينسجم مع المنطلقات الكبرى لتقرير اليونسكو : تعلم لتعرف ، تعلم لتعمل ، تعلم لتكون ، تعلم لتشارك الآخرين .

قائمة المراجع :

- اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، التعلم: ذلك الكنز المكنون (باريس، اليونسكو، ١٩٩٦)، الفصل ٤.
- طه جابر العلواني : أدب الاختلاف في الإسلام ، كتاب الأمة (٩)
- عبدالحكيم قماز (٢٠٢٠): الاعتقاد أنّ النّاس إخوة في الإنسانية من صميم الإسلام ، موقع إسلاميات ، يوليو ، تاريخ الاسترداد ٥ / ١٢ / ٢٠٢٠)
- عبدالله التل (١٩٧١) : جذور البلاء ، دار الإرشاد ، ص ١١٨ – ١١٩
- على أحمد مدكور (١٩٩٠) : منهج التربية في التصور الإسلامي ، بيروت ، دار النهضة العربية .
- عمرو شريف (٢٠١٢) : ثم صار المخ عقلا ، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية .
- ناصر العمر(١٤٢٦) : ١ / ٢ رؤية شرعية في الأخوة الإنسانية) ، موقع الشيخ ناصر العمر ، 29 ذو الحجه ، تاريخ الاسترداد ١٥ / ١٢ / ٢٠٢٠
- مدحت صادق مريد (٢٠١٨) :الخلايا المرآة الأساس البيولوجي للتواصل الإنساني
- محمد أحمد عبدالجواد (٢٠٠٦) : أختلف معك لكنى أحبك ، القاهرة ، مركز السلام للتطوير الفني .
- Pierre Charles: Les protocoles des sages de Sion, dans Nouvelle Revue théologique, vol. 65, 1938, pp.56-78, 966-969, 1083-1084.